

مشروع أسلمة العلوم وتجديد الفكر الديني، قراءة في المنطلقات والمآلات

The project of Islamization of sciences and renewal of religious thought, an reading of the starting points and consequences.

ملیكة مذکور¹¹ جامعة حسیبة بن بوعلی الشلف (الجزائر)، medkour.malika@yahoo.fr

مخبر الفلسفة التطبيقية والدراسات المستقبلية

تاریخ الاستلام: 2024/06/29 تاریخ القبول: 2025/11/27 تاریخ النشر: 2025/12/31

Abstract

ملخص

The project of Islamization of science, or the Islamization of knowledge, is among the most important projects for the renewal of religious discourse in the contemporary period, It was presented as an alternative project to previous renaissance projects, It brings a new approach to the question of heritage and modernity, according to an Islamic vision.

On the one hand, it aims to sift through heritage while at the same time benefiting from its effective elements, And the approach to Western modernity, but by ridding its sciences of the influences of secularism, Because science in Islam is not separated from religion, but rather closely linked to it, Hence, it was necessary to reconsider contemporary science in terms of its foundations, principles, and methods in order to reconnect it with its goals, objectives, and religious foundations so that it can return to its true essence, be effective, and perform its true function in Muslim societies.

The problematic: Did this project succeed in renewing religious discourse and approaching the problem of Western heritage and modernity, and can it be considered an alternative project to previous renaissance projects?

Keywords: Islamization of science; renewal of thinking; religious discourse; science; religion; Heritage; Western modernity.

يعد مشروع أسلمة العلوم أو اسلامية المعرفة كما أصبح يعرف مؤخرًا من بين أهم مشاريع تجديد الخطاب الديني في الفترة المعاصرة، حيث قُدم كمشروع بديل للمشاريع النهضوية السابقة، يحمل مقاربة جديدة لقضية التراث والحداثة، وفق رؤية إسلامية تهدف من جهة إلى غلبة التراث وفي نفس الوقت الاستفادة من عناصره الفاعلة، والانفتاح على الحداثة الغربية لكن بتخليص علومها مما علق بها من تأثيرات العلمانية، لأن العلوم في الإسلام ليست مفصولة عن الدين، بل ترتبط به ارتباطًا وثيقًا، ومن هذا المنطلق ينبغي إعادة النظر في العلوم المعاصرة برمتها من حيث أسسها ومبادئها ومناهجها لإعادة ربطها بأهدافها وغاياتها وأسسها الدينية حتى تستطيع أن تعود إلى جوهرها الحقيقي، وتكون علومًا فاعلة تؤدي وظيفتها الحقيقية في المجتمعات المسلمة.

الإشكالية: إلى أي مدى وفق هذا المشروع في تجديد الخطاب الديني، ومقاربة إشكالية التراث والحداثة الغربية، وهل يمكن اعتباره مشروعًا بديلًا للمشاريع النهضوية السابقة؟
الكلمات المفتاحية: أسلمة العلوم؛ تجديد التفكير؛ الخطاب الديني؛ العلم؛ الدين؛ التراث؛ الحداثة الغربية.

مقدمة

بعد فترة السبات التي مرت بها الأمة الإسلامية، بدأت تستيقظ شيئاً فشيئاً من غفوتها باحثة مرة عن النهضة وشروط تحقيقها، ومرة عن تخلفنا وأسبابه وكيفية تجاوزه، وتتساءل في أخرى عن التجديد وضرورته، وكلها مؤشرات تدل على الاعتراف بأن هناك أزمة حقيقية تعيشها المجتمعات الإسلامية وانسداد في أفق التغيير بعد فشل المشاريع الفكرية السابقة في حل الأزمة أو تحقيق أي إنجاز يذكر في حلحلة الوضع وإعطاء تصورات بديلة ناجعة، ومن هذا الواقع ظهر مشروع فكري آخر يعرف بإسلامية المعرفة يحمل مقاربة جديدة للإصلاح والتجديد وخارطة طريق نحو الخروج من الأزمة.

ومن هذا المنطق جاء طرحنا للإشكالية التالية: إلى أي مدى وفق هذا المشروع في تجديد الخطاب الديني، ومقاربة إشكالية التراث والحداثة الغربية، وهل يمكن اعتباره مشروعاً بديلاً للمشاريع النهضوية السابقة؟

1- التعريف بمشروع أسلمة العلوم والفنون وأهدافه:

يجمع الكثير من منظري ومؤيدي مشروع أسلمة العلوم والفنون على أن العلوم المعاصرة الغربية نشأت تحت تأثير خلفيات إيديولوجية غربية عن واقع المجتمع العربي الإسلامي، فقد ارتبطت منذ البداية بالفلسفة الوضعية التي قامت على أسس ومبادئ وأهداف تتسجم مع تركيبة المجتمع الأوروبي، وتستجيب لحاجياته الفكرية والاجتماعية وتجسد طموحاته وأهدافه، فساهمت مساهمة فعالة في احتواء مشاكله وحلها، فأثبتت بذلك دورها الريادي كعلوم لها تأثيرها الواضح على المجتمع، وفي مقابل هذا تقتصر هذه العلوم في مجتمعاتنا إلى هذه الخاصية الريادية الفعالة، إذ لا تأثير لها لا على المجتمع ولا على حل مشاكله، فإلى ماذا يرجع سبب ذلك؟.

يرجع السبب الأساسي في ذلك إلى أن العلوم برمتها والعلوم الاجتماعية والإنسانية بالخصوص وجدت نفسها منذ البداية تجتر أسئلة الآخرين وتتعبق أجوبتهم ونظرياتهم البعيدة عن منطلقات مجتمعا واهتماماته ومشاكله، وهو الأمر الذي جعلها علوماً منفصلة منعزلة غير قادرة على الاستجابة لتطلعات الإنسان المسلم، وهو ما خلق هوة واضحة بين إنتاجنا الثقافي ومحيطنا الاجتماعي، الأمر الذي يتطلب منا وقفة حقيقية لمراجعة وإعادة قراءة مبادئ وأسس وأهداف هذه العلوم الإنسانية بما ينسجم مع خصائص مجتمعا، وهو ما تجسد من خلال مشروع أسلمة المعرفة الذي ينطلق من الصياغة الإسلامية للعلوم، على أساس أن هذه العلوم برمتها ينبغي أن نراعي فيها إشكالية الاختلاف الواضح بين منطلقات وأهداف وأسس النظرة الإسلامية للكون والوجود والحياة والنظرة الغربية له، وما يستتبعها من تفسيرات، ذلك لأن "التصور الغربي للوجود منحصر كله في الإنسان والطبيعة، والعقل عندهم طريق معرفة الحقائق وليس ثمة طريق آخر، وأن الإنسان سيد نفسه، وهو في نفس الوقت حيوان اجتماعي مفكر فحسب، وليست النفس الإنسانية

إلا مجموعة من الغرائز، وفي مقابل هذا التصور القاصر يقدم الإسلام تصورا مختلفا، فالتصور الإسلامي يعتبر الإنسان والكون ليس وحدهما في الوجود، بل كلاهما يبتدئ من الله، وينتهي إليه سبحانه وتعالى، وأن العقل ليس وحده أداة الوصول إلى الحقيقة، بل هناك طريق آخر هو الوحي... ونتيجة للأخطار التي حاقت بالأمة الإسلامية نتيجة تغلغل العلوم في مجتمعاتنا حاملة لقيم ومبادئ غريبة عنا، فإن المسلمين مطالبون بأسلمة العلوم وإعادتها إلى أحضان الإسلام مرة أخرى، وإعادة بناء العلوم من جديد على أسس يمتزج فيها الديني بالدنيوي والمادي بالنفسي" (الجندي، 1986، ص71-72) إيماننا منهم بأنه لا خبرة الغرب ولا خبرة المستغربين من المسلمين قادرة على حل مشاكل المسلمين، ولهذا بات طريق أسلمة المعرفة هو الطريق الأسلم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فما المقصود بإسلامية المعرفة؟.

1. 2- أسلمة المعرفة، جذور الفكرة:

أسلمة المعرفة هو مشروع فكري ساهم في التأسيس له نخبة من الباحثين المسلمين تهدف إلى تحقيق الإصلاح الفكري والثقافي، وبناء العلوم والمعارف الاجتماعية والإنسانية على أسس ومبادئ إسلامية وهو "خطة عمل منهجية"، ساهم في التأسيس لها الأستاذ الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي (1921-1986) بعد ورقة بحثية قدمها في مؤتمر إسلام آباد بالإنجليزية ثم أعاد تحريرها بالعربية الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان (1936)، ثم تطورت الفكرة من خلال أوراق عمل الندوات الكبرى التي عقدها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومن خلال سلسلة مؤلفاته، يؤكد هذا الاتجاه على حاجة الأمة المتركمة تاريخيا إلى منهج إصلاح فكري، يطرح كبديل لفكرة الاستنساخ الحضاري للآخر الذي قدم كسبيل للنهوض، بل يرى أن "النموذج الغربي للعلم قد عطل ازدهار ونمو الحركة العلمية الإسلامية بعد انبهار المسلمين بالغرب وبنجاح حضارته، وقد تمثل هذا الغزو الثقافي الذي كان شديد الوطأة ليس على مظاهر الحياة الإسلامية فحسب، بل وعلى عقول المسلمين ومناهجهم التربوية" (أبو ريان، 1997، ص05-06).

ولهذا فقد تولى الدفاع عن هذا المشروع وفكرته المعهد العالمي للفكر الإسلامي من خلال عدة دراسات بينت أن "أزمة الأمة فكرية وأنه لابد من تفعيل الجهود الإصلاحية لتخرج الأمة مما هي فيه من تمزق وتعطيل للطاقات تقف عقبة كؤودا في ممارسة الأمة لشهودها ومهمتها الاستخلاقية، وكانت خطة المعهد مركزة في بعدين:

الأول: معالجة الإشكالات المعرفية والمنهجية والوجدانية التي انعكست عن التبديل الثقافي، وهذا يُقَابَل بإسلامية العلوم الاجتماعية والإنسانية لاستعادة الهوية الفكرية والثقافية.

الثاني: إعادة صلة الأمة بتراتها الإسلامي لأن "فيه الكثير من الجوانب النافعة والمفيدة التي لابد من تنميتها وإحيائها... من خلال خطة عمل منهجية" (فينو، 2007، ص169-170).

1. 3- تعريف إسلامية المعرفة من خلال مؤسسيها والمدافعين عنها:

1-3.1- مفهوم إسلامية المعرفة عند إسماعيل راجي الفاروقي:

أوضح الفاروقي أن إسلامية المعرفة هو مشروع حضاري تجديدي، وهو ما يظهر من خلال كثير من أعماله وكتاباتاته وهي عنده ليست مجرد اصطلاح علمي لا بد له من تعريف جامع مانع وينتهي الأمر، وإنما هي تصور كلي للمعرفة بشتى مجالاتها وفروعها، ومن ذلك قوله: "إن إعادة صياغة العلوم في ضوء الإسلام هو ما نعنيه بكلمة أسلمة العلوم، ونعني بها إعادة صياغة المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها وتقييم الاستنتاجات التي انتهى إليها، وإعادة تحديد الأهداف على أن يكون ذلك بطريقة تجعل فروع المعرفة المختلفة تثري التصور الإسلامي وتخدم الإسلام... وللوصول إلى هذا الهدف لابد لقضايا الإسلام الأساسية -وأعني بها: وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ووحدة البشرية ووحدة الحياة والإيمان بوجود هدف وراء خلق الكون والإنسان وعبودية الإنسان لله- أن تحل محل التصورات الغربية وأن يتحدد على أساسها كيفية إدراك الحقيقة وتبويبها" (الفاروقي، 1982).

وهذا معناه أنه علينا إعادة بناء العلوم المعاصرة وتحريرها مما علق بها من قيم غربية، وهذا وفق ما تقتضيه قيم الاسلام التي ينبغي أن تحل محلها فتقوم هي بتوجيه النشاط العلمي في كل مجال.

1-3.2- تعريف إسلامية المعرفة عند محمد أبو القاسم حاج حمد

أما أبو القاسم حاج حمد (1941-2004م) فقد عرّف إسلامية المعرفة بأنها "فك الارتباط بين الانجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة، وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن ناظم منهجي ومعرفي ديني - غير وضعي - ... فأسلمة المعرفة تعني أسلمة العلم التطبيقي والقواعد العلمية أيضا، وذلك بفهم التماثل بين قوانين العلوم الطبيعية وقوانين الوجود المركبة على أساسها القيم الدينية نفسها، وبذلك تتم أسلمة الإحالات الفلسفية للنظريات العلمية بحيث تنفي عنها بعدها الوضعي وتعيد صياغتها ضمن بعدها الكوني الذي يتضمن الغائية الالهية في الوجود والحركة" (حمد، 2003، ص31).

وهنا نجد الحاج حمد يعتمد إلى محاولة تصحيح مفهوم إسلامية المعرفة وتخليصها مما علق بها من فهم خاطئ وأخطاء أضيفت إليها عن عمد أو جهل مبينا أن أسلمة العلوم ليست مجرد إضافة عبارات دينية إلى مباحث علم النفس والاجتماع والإناسة بأن نستمد آيات قرآنية ملائمة لموضوعات العلم المقصود أسلمته وحتى الذين فهموا الأسلمة بهذا المعنى إنما جعلوا أنفسهم هدفا لسخرية الآخرين فحق عليهم القول بأنهم يحاولون احتواء الحضارة العالمية الزاحفة احتواء سلبيا من موقع الدفاع العاجز من بعد فشل فكر المقارنات والمقاربات، أما المفهوم الصحيح الذي يقصده فهو يجعل من مشروع إسلامية المعرفة "إعادة صياغة منهجية ومعرفية" للعلوم وقوانينها (حمد، 2003، ص31-32). وتهدف إلى ربط الجانب الديني والدنيوي،

وإعادة العلوم إلى حضن الدين مرة أخرى بعد اغترابها بحيث تكون العلوم برمتها طريقا يقود للإيمان بالله تعالى، من خلال نقد وتقويم المعرفة المعاصرة وإحالاتها الفلسفية. وبالتالي فالمطلوب هنا ليس جعل العلوم تدخل في إطار العلوم الشرعية، بل أن تستمد هذه العلوم أسسها ومنطقاتها من الشريعة الإسلامية، ولا تتعارض في تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع أحكامها.

3.1-3 - إسلامية المعرفة عند عماد الدين خليل:

أما إسلامية المعرفة عند عماد خليل (1939م) فتعني " ممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتركيبا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان... ولا تنسحب فقط على ما يسمى بالعلوم الصرفة "المحضة" والتطبيقية في التعامل مع الوجود، وإنما تمتد بالضرورة إلى ما يعرف بدائرة العلوم الإنسانية، بل إنها في هذه أشد ضرورة، لأنها المعنية بترتيب وضع الإنسان في العالم، وتنظيم حياته بما يجعله قادرا على تحقيق مهمته في العالم ... إن إسلامية المعرفة ههنا لا تعني فقط الدعوة لتحقيق الوفاق بين معطيات العلوم الإنسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق، وإنما تعني قبل هذا وبعده، احتواء كافة الأنشطة المعرفية على المستويين النظري والتطبيقي معا، من أجل جعلها تتحقق في دائرة القنوات الإيمانية وتتشكل وفق مطالبها وتصوراتها الشاملة أسوة بالعلوم الأخرى" (خليل، 2006، ص 11-10-09)

والى موقف قريب من هذا يعتبر الدكتور محمد عمارة (1931-2020) فكرة إسلامية المعرفة في مصاف المذهب حينما يصفها بأنها المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية رافضا بذلك جعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية، داعيا بذلك إلى أن تبنى المعرفة على ساقين اثنتين: الوحي وعلومه، والكون وعلومه، وليس على ساق واحدة هي الوجود (عمار، 2007، ص 10)، معتبرا أن مشروع إسلامية المعرفة هو شعار جديد بمضمون قديم يحمل على عاتقه إكمال المهمة الفكرية والرسالة الثقافية التي عرفتتها حضارتنا منذ ظهور الإسلام.

2 - أسباب ودوافع ظهور مشروع إسلامية المعرفة:

يسعى مشروع أسلمة العلوم أو إسلامية المعرفة إلى التأكيد على حقيقة أساسية ومحورية وهي أن كل العلوم التي أنشأها الإنسان في الإسلام ترتبط ارتباطا وثيقا بعقيدته وإيمانه، ومن هذا المنطلق ينبغي إعادة النظر في العلوم المعاصرة برمتها من حيث أسسها ومبادئها ومناهجها لإعادة ربطها بأهدافها وغاياتها وأسسها الدينية حتى تستطيع أن تكون علوما فعالة وتؤدي وظيفتها الحقيقية في المجتمعات المسلمة، لأن فقدانها لهذه المبادئ الأساسية جعلها علوما منفصلة لا علوما فاعلة.

وقد ظهر هذا التيار بعد أن بدت له أن المشاريع الفكرية السابقة التي سعت إلى الإصلاح والتجديد لم تجد الحل لمشكلة اتساع الفجوة بين الفكر الديني والفكر العلمي، في المشاريع النهضوية السابقة التي إما تمسكت بالماضي وعلومه ورفضت الانفتاح على العلوم المعاصرة ومعطياتها مركزة على الماضي تستلهم منه عوامل القوة وتحاول تجاوز عوامل الضعف، وإما رمت بنفسها في أحضان الحضارة الغربية بعلومها وفنونها ومجونها دون تمييز مستندة في مشروعها على مقومات المشروع الغربي، الأمر الذي خلق جيلا منسلخا عن واقعه وفطرته السليمة، وهو ما أشار إليه مالك بن نبي عندما نبّه إلى أن المسلمين تحت تأثير مرض الشعور بعقدة التخلف والدونية منهم من اندفع إلى صيدلية الحضارة الغربية يبحث عن الحل تحت تأثير سحر الغرب ومنجزاته العلمية والتقنية، نحو الإقبال على الغرب واستيراد تقنياته والاقتباس من علومه وفنونه - حتى لباسه - دون غريزة، ومنهم من اتجه نحو العودة إلى إحياء التراث الغابر وإعادة قراءته واستلهامه من جديد، في محاولة للتغلب على مركب النقص بتناول حقبة اعتزاز من الماضي يعلل بها النفس؛ منتقدا كلا التوجهين مبينا بأنه ليس كل ما في التراث العربي الإسلامي صالحا لزماننا، ولا كل ما جاءت به الحضارة الغربية نافعا لنا، فالأول يهدف إلى الحفاظ على الأفكار القديمة حتى لو كانت ميتة والثاني يسعى إلى تبيئة الأفكار المستجلبة حتى لو كانت مميتة. وإذا كانت الفكرة الميتة هي نتاج إرثنا الاجتماعي" لكنها فكرة خذلت أصولها وانحرفت على مثلها الأعلى، ولم تعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي" (بن نبي، 2002، ص153)، وبالمقابل تطرح قضية الاقتباس عن الغرب مشكلة أخرى تثيرها محاولة الاستعانة بالأفكار المميتة المقتبسة من الحضارة الغربية في إحياء التراث المشحون بالأفكار الميتة، والفكرة المميتة هنا " هي أفكار خلفت في عالمها الثقافي الأصلي جذورها ووفدت إلى عالمنا...وهي فكرة فقدت هويتها وقيمتها الثقافيتين بعدما فقدت جذورها التي بقيت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي" (بن نبي، 2002، ص149-153).

وعليه فإن تصفية الأفكار الميتة والمميتة أساس ضروري لكل نهضة عندما يتعلق الأمر بقضية التراث وما يمكن اقتباسه من الغرب، وهي فكرة قريبة جدا مما دعى إليه مؤسسو مشروع إسلامية المعرفة الذين حاولوا سد الهوة بين المشاريع السابقة مبينين أن فشلنا مزدوج مرده من جهة إلى تمسكنا بترائثنا بكل ما فيه ومن جهة أخرى اقتباسنا لعلوم الغرب بكل ما فيها من فصل بين العقل والإيمان، وهذا الفصل المزدوج هو الذي عمق الهوة بين علوم الدين والعلوم الدنيوية، محاولين في الوقت ذاته خلق نموذج للتفاعل والتكامل بينهما وفق تصورات جديدة، مؤكدين على حقيقة أساسية هي أن المعرفة في الإسلام تقوم على عنصرين متكاملين وتميزين يخضع أحدهما للعقل والآخر للوحي، وهو منطلق مخالف تماما لما هو سائد في الحضارة الغربية من فصل بينهما، ذلك لأن ظاهرة الفصل بين تعاليم الدين وعلوم الدنيا التي تتميز بها الحضارة الغربية منذ عصر النهضة نشأت نتيجة تصادم " الاكتشافات العلمية لاسيما في تركيب جسم

الإنسان وفي حركات الفلك مع النصوص القديمة التي كان أرباب الكنيسة يعتمدون عليها ولا يريدون التخلي عنها" (عروة، 1987، ص10).

ولهذا فهذه المشكلة وهذه التفرقة ليست مشكلة أصيلة بل مشكلة دخيلة وفدت إلينا بعد أن "طغى الفكر العلماني على الفكر الديني واستلم مقاليد الحضارة والسياسة كثير من المثقفين المستغربين ساروا مع ذلك الاتجاه، وتبنوا المنهج العلماني فجعلوا العلم في واد والإيمان في واد آخر متجاهلين بذلك أن الدين الإسلامي في أصوله العقيدة وفي واقعه الحضاري لا يفصل بين العلم والإيمان كما لا يفصل ماء النهر عن السهل الذي يجري فيه، إن الإسلام منذ دعوته الأولى يمثل عقيدة وجودية ومآلية شاملة لا تفصل بين الواقع الزمني والتطلع الروحي، ولا بين مطامح الفرد ومصلحة المجتمع، ولا بين قوانين الطبيعة والمفهوم الديني للكون، ولا بين العلم بالمحسوسات والإيمان بالغيبيات، ولا بين العبادة والعمل اليومي " (عروة، 1987، ص10-11).

ونتيجة ذلك فقد كان الفشل و الإخفاق سمة أساسية للمشروعين معا، وكانت أزمة الفكر الإسلامي

لها بعدين:

الأول : تجلى في حالة الانقسام التي نعيشها اليوم والتي كانت نتيجة الآثار التي تركها فينا الفكر الغربي والتي أدت بالكثير منا إلى الاعتقاد بأن الفكر الإسلامي بعلمه وتراثه لا علاقة له بالحياة المعاصرة، ولا حاجة لنا به، وهو ما أحدث تمزقا وفصاما بين قيمه ومنطلقاته ومعتقداته وأهدافه، وبين قيم ومنطلقات ومعتقدات وغايات الغرب، الأمر الذي أفقد العقل المسلم في النهاية هويته وشتت سبله ومناهجه (الفاروقي، أسلمة المعرفة، المبادئ العامة، وخطة العمل، الانجازات، 1989، ص17). خاصة إذا عرفنا أن العلوم الاجتماعية والإنسانية بمنطلقاتها الغربية لا تصلح كإطار فكري للإنسان المسلم، هذا ناهيك عن العوائق الابستمولوجية والمنهجية التي وقعت فيها نتيجة الاعتماد على مناهج العلوم الطبيعية وتوظيفها في العلوم الاجتماعية متجاهلين الاختلافات الكبيرة الموجودة بينهما، والتي أدت بها إلى الاعتماد فقط على ما هو قابل للملاحظة والتفسير بحثا عن القوانين الموضوعية، وهو ما انتهى بها إلى رفض الدين ودوره، لأن قضاياه لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

الأمر الذي أدى إلى ظهور أصوات حتى من داخل الفكر الغربي ذاته تنادي بضرورة احترام خصوصية العلوم الاجتماعية والإنسانية، واحترام تداخلها وخصوصيتها.

أما الثاني: فكان في قطع هذه الأمة بتراثها الإسلامي وتحويله إلى مجرد تراث تاريخي يفخر به ويتغنى بأمجاده...أما أن يكون أساسا للبناء وقاعدة للتفاعل الحي بإبقاء المفيد وتنمية النافع وإحياء الجيد فذلك موضع الرفض لا موضع التقبل والاعتبار عند الكثيرين (الفاروقي، أسلمة المعرفة، المبادئ العامة،

وخطة العمل، الانجازات، 1989، ص18)، ولهذا فلا شك أن الخلل واقع في مجالين - على حد تعبير الفاروقي - مجال تعاملنا مع علوم الفكر الغربي العاجز عن تجاوز مآزقه، وخلل آخر في مجال تعاملنا مع تراثنا الإسلامي الذي قمنا بتحنيطه فجعلنا منه تراثا جامدا هامدا لا حياة فيه، ولإيجاد حل لهذه الازدواجية المرضية يقترح الفاروقي ما يسمى بإسلامية المعرفة التي تأخذ وجهين: وجها داخليا ينصب على دراسة تراثنا وديننا، ووجه آخر خارجي ينصب على استيعاب ونقد الفكر الغربي، مع التركيز على العلوم الاجتماعية والإنسانية باعتبار أن خطرهما أكبر وأسرع من خطر العلوم الأخرى لتعاملها مع الإنسان وواقعه. ولهذا جاء مشروع إسلامية المعرفة بهدف الربط بين الدين كأمر إلهي وبين الواقع الإنساني

الحضاري الذي لا يفصل عنه في علومه وفنونه وأخلاقه. وترميم العلاقة بين الجانب المادي والروحي. لتؤكد أن للعلم بعدين بعد دنيوي يربط بين الإنسان والكون الطبيعي، وبعد روحي يربط بين الإنسان وخالقه، وكلاهما مترابطان ومتكاملان يستتير أحدهما بالآخر، لأن معرفة الإنسان للمخلوقات تعرفه بقدره الله وحكمته، كما أن معرفة الخالق تعرف الإنسان بالأهداف والمقاصد الوجودية (عروة، 1987، ص97).

ومما سبق يمكن القول إن المدافعين عن إسلامية المعرفة وصلوا إلى نتيجة مفادها أن الفكر الديني بصورته الحالية صار غير قادر على تجاوز أزماته ومآزقه الداخلية، وعاجزا عن حل الإشكاليات المعرفية، بنظام فكري يجتر مقولاته ومفاهيمه الماضوية، عاجز عن مسايرة العلوم المعاصرة، مما أدى إلى التفكير في مراجعة هذا النظام المعرفي برمته في بنيته ومنهجه، بعد أن أصبح عاجزا على أن يكون فعالا وأصابته حالة من " التأزم والتمزق والتشرذم والضعف بلغت به حدا أصبح قاصرا عن إنتاج وتوليد المعرفة وصار خاملا جامدا متوقفا وعاجزا عن تجاوز أزمة الفكر التي أصابته فقد اضطربت رؤيته المعرفية وأصابها الغش واللبس، وفقد منهجيته الصحيحة، فصارت لا تفرق بين ما هو أصيل وما هو دخيل، وضاعت بوصلته التي ترسم مساره ووجهته، وبقي العقل المسلم يراوح مكانه ويتخبط في مآزقه وإشكالياته الحضارية والمعرفية والمنهجية" (الشعير، 2014، ص49).

فكان لزاما على أصحاب مشروع إسلامية المعرفة الدعوة إلى ضرورة القيام بعملية الإصلاح والتجديد الفكري من خلال القيام بمراجعة شاملة لعلومه، كحل ناجع وحصري، من خلال نسق معرفي بديل يعيد بناء ذاته وتجديدها من خلال الاستيعاب الواعي للتراث من جهة والإدراك المنهجي النقدي للفكر الغربي المعاصر، وهو حل لا يمكن أن يمر دون العودة إلى إعادة صياغة علومه بحيث تقوم على مبادئ تتفق مع مبادئ الإسلام التي تقوم على التوحيد، وحدة الحقيقة والمعرفة، وحدة الخلق، وحدة الحياة، وحدة الإنسانية، التكامل بين العقل والوحي، وهذه المبادئ هي التي أصبحت تشكل المبادئ الأساسية لإسلامية المعرفة.

فالمشكلة في تشخيصه قد بدأت معرفية ثم امتدت لتصبح وجودية ثم قيمية، ومن ثم كان الفكر الإنساني عموما والإسلامي خصوصا في حاجة ماسة إلى أن يعيد النظر في مفاهيمه ومقولاته وأفكاره

وممارساته، إعادة النظر في بنيته المعرفية و القيمة التي ورثها عن الغرب من جهة أو التي استلهمها من التراث الإسلامي من جهة ثانية، مراجعة تسمح له القيام بعملية تصفية للفكر الوافد الذي لا يتوافق مع نموذج المعرفة التوحدي ولا ينسجم مع هويته الحضارية، وفحص التراث الإسلامي ونقده ليتوافق مع معطيات العصر، من خلال بناء نظام معرفي يختلف في أسسه ومبادئه ومناهجه وأهدافه عن الفكر الغربي، بهدف بناء نسق معرفي منفتح على الآخر في حدود مبادئه وخصوصيته.

ولكن بعد أن شخّص المدافعين عن إسلامية المعرفة أصل المرض وأعراضه فهل نجحوا في أن يوجهونا إلى الحل وما هي خطتهم في ذلك؟ .

3- الخطة التي اعتمدها مشروع أسلمة العلوم:

يشخص الفاروقي مشكلة التخلف الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية برده إلى مشكلة التعليم، والمادة المعرفية التي استوطنت في الثقافة العربية الإسلامية، التي أصبحت تعاني من اعتلال في الفكر والمنهج، الأمر الذي خلق أجيالا بثقافة فقدت مفعولها وفاعليتها، لأن علومها فقدت قدرتها التأثيرية نتيجة انسلخها عن بيئتها الأصلية، ولهذا عجزنا عن تفجيرها وتحويلها إلى طاقات عملية، لأن هذه العلوم يتم نقلها من واقع إلى تفسير واقع آخر مغاير له مع تجاهل الاختلاف في الثقافة والمستوى الحضاري والعلمي والاجتماعي، ولهذا فهذه العلوم لا تثمر، لأنها قد غرست في أرض غير أرضها، ولا يمكن أن تدب فيها الحياة إلا إذا تم فك الارتباط بينها وبين الخلفية الفكرية والإيديولوجية الغربية وربطها بالإسلام، عندها فقط تستطيع تفسير الواقع الفكري والثقافي العربي الإسلامي، بعد أن تأخذ حمولة جديدة تؤهلها لتفسير الظاهرة الاجتماعية أو الفكرية أو الثقافية في مجتمعنا.

وهذا لا يتم إلا من خلال نظام تعليمي تعاد صياغة برامجه ومناهجه، وفق رؤية إسلامية تصحح وتعديل وجهته ويوصلته وخط سيره بحيث يرتبط فيه ما هو ديني مع ما هو دنيوي في بونقة واحدة وفق النظرية الإسلامية التي لا تفصل بين العقل والنقل بل يتكاملان ويضافران ويصبان في هدف واحد. وهي الفكرة التي دافع عنها إسماعيل راجي الفاروقي كما أشار إليها أيضا طه جابر العلواني في كتابه (الجمع بين القراءتين)، ويقصد من القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، إذ تقوم فكرة الجمع بينهما على أنّ الكون يمثل كتاب الله تعالى الماديّ المجسّم وما دونته البشرية من فهم له، بينما القرآن الكريم هو الكتاب المنزل، وفي كلّ واحد من الكتابين مؤشرات تهدي إلى الكتاب الآخر، ولهذا على الإنسان أن يقرأ في كتاب الكون ليهتدي إلى القرآن الكريم، ويقرأ في الكتاب الآخر القرآن الكريم ليهتدي إلى الكون، ويؤكد أصحاب هذا المشروع على ضرورة الجمع بين القراءتين، فبهما تدرك الفروق بين الأمم التي استفادت بالوحي واتبعت، واستنارت به، وبين الأمم التي تجاهلته وتعاملت مع الطبيعة أو الكون -وحده- دون استنارة بهداية الوحي،

أو أهملت الكون والتجارب البشرية وعبر التاريخ ودروسه، وقراءة الوحي المنزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحجة الاكتفاء بالوحي والاستغراق فيه (العلواني، 2006، ص19).

لذا يشدد الفاروقي على أن أصل الداء ودواؤه موجودان في التعليم ذاته، فليس هناك شك في أن الأمة تعاني من اعتلال في الفكر والمنهج، وسبب هذا التيه والضياع يَرُدُّ بالدرجة الأولى إلى التعليم الذي يكرس هذا التيه وينميه، ولهذا كان من البديهي أن مركز الداء ومنبعه في هذه الأمة إنما هو النظام التعليمي السائد ففي كلياته ومدارسه تُؤلَّدُ عملية تغريب النفس عن الإسلام وتراثه وأسلوبه، ذلك لأن النظام التعليمي هو المختبر الذي تصاغ فيه تركيبة الشباب المسلم ويجري تغذية وعيهم على أسس غريبة باطلة، فالمواد والمناهج التي تدرّس في البلاد الإسلامية إنما هي نسخ مما عند الغربيين، لكن مع افتقارها للرؤية التي تمدها بالحياة في بيئتها الأصلية (الفاروقي، أسلمة المعرفة، المبادئ العامة، وخطة العمل، الانجازات، 1989، ص32).

وعليه فالحل يكمن في نظام تعليمي يتجاوز فكرة التقسيم الثنائي للعلوم إلى علوم إسلامية وعلوم علمانية، هذه الثنائية التي يجب أن يقضى عليها للأبد من خلال نظام تعليمي يدمج النظامين في نظام واحد مشبع بروح الإسلام وهذه " الازدواجية الموجودة في النظام التعليمي السائد في سائر أنحاء العالم الإسلامي لا يمكن التخلص منها إلا بإسلامية المعرفة، وإسلامية المعرفة هي عملية تبديل ثقافي تشكل شرطاً مسبقاً لازماً لمعالجة الانحراف الذي تعاني منه الأمة" (العلواني، نحو منهجية عمل للتواصل إلى جعل المعرفة تقدم في إطار إسلامي، 1985، ص04)، وذلك وفق خطة تقوم على التوحيد ووحدة المعرفة، وحدة الحقيقة ووحدة الإنسانية، والمقصود بالتوحيد هنا وهو توحيد الله تعالى في وحدانيته و ربوبية وألوهية، فالله هو الإله الحق لا إله غيره ولا معبود سواه، مبدأ كل شيء وغاية كل شيء، خلق الإنسان وعلمه البيان، وزوده بوسائل المعرفة، ووجهه إلى النافع منها وما يخدمه في دنياه وأخراه، ومهما علم الإنسان فلا ينبغي أن يغتر بما يعرف بل يؤمن بقضية يقينية وهي أن العلم المطلق هو لله وحده، يقول الفاروقي " وللوصول إلى الهدف لابد لقضايا الإسلام الأساسية -وأعني وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ووحدة البشرية ووحدة الحياة والإيمان بوجود هدف من وراء خلق الكون والإنسان وتسخير الكون للإنسان وعبودية الإنسان لله- لابد لهذه القضايا كلها أن تحل محل التصورات الغربية وأن يتحدد على أساسها كيفية إدراك الحقيقة وتبويبها" (الفاروقي، أسلمة المعرفة، 1982).

وتقع مهمة إصلاح النظام التعليمي على المثقفين من الأساتذة الجامعيين سواء الذين تكوّنوا في الداخل لأنهم عاشوا الصراع والمواجهة بين ما لديهم وبين "الإيديولوجيات" والأفكار الوافدة التي تغزو عقول المسلمين" لكن المهمة الأكبر هي للأساتذة الجامعيين الذين تكونوا في الخارج لأن الأساتذة الذين تكوّنوا في الجامعات الإسلامية قد يفوتهم إدراك " الشر الوافد في الإيديولوجيات والأفكار الغربية و يبقى بالنسبة إليهم

سراً خفياً مبهماً لكونهم لم يتصلعوا في فروع الدراسة الغربية.. فقد يدركون وجود هذا الشر وقد يتمكنون من قياس آثاره غير أن طبيعته وعلاقته بفروع المعرفة المختلفة لا بد وأن تفوتهم" ولا يقصد هنا بأساتذة الخارج الذين تصلعوا في العلوم الغربية وآمنوا بأفكارها ودافعوا عنها ودرسوها كما هي؛ لأن هذه الفئة جزء من المشكلة وليست جزء من الحل، بل يقصد " أولئك الذين أنعم الله تعالى عليهم بنعمة الالتزام بالإسلام كنظرية عالمية شاملة فهم الذين يعانون آلام الوقوف على حافة الهوة الفاصلة بين ما تعلموه وبين ما يؤمنون به، إنهم الشهود الأحياء على الجرائم الفكرية والروحية التي تقترب على الدوام ضد روح الإسلام وضد التصور الإسلامي (الفاروقي، أسلمة المعرفة، 1982).

4- خارطة الخروج من الأزمة:

إن مشروع إسلامية المعرفة لا يكفي بالتظير وتحديد الأهداف بل يضع خارطة طريق للحل، فتحقيق هذه المهمة السامية التي يدافعون عنها تمر عبر خطوات تمر بنظرة شاملة تلقى على كل فرع من فروع الدراسة وما حمله كل فرع من جديد بغية استجلاء الخطوط العريضة عن " أصل نشأته وتطوره التاريخي ونمو منهجه، واتساع مجاله والإسهامات الأساسية التي قام بها حاملو لوائه" (الفاروقي، أسلمة المعرفة، 1982)، ثم تأتي الخطوة الثانية وهي الدراسة النقدية لهذا الفرع المعرفي أو ذاك من وجهة نظر الإسلام لواقع الفرع الدراسي في أرقى حالات تطوره" (الفاروقي، أسلمة المعرفة، 1982) لمعرفة مدى ملائمتة ومدى توافقه مع قيم الإسلام ومبادئه التي أشرنا إليها سابقاً (التوحيد ووحدة الحقيقة ووحدة المعرفة) إن هذه الخطوات تعني وضع المشكلة أمام المفكر المسلم وتلخص له في مجموعها ما مر به الفرع الدراسي من تطورات غابت عن المسلمين في فترة سباتهم.. كما يفترض فيها أن تدله بأكبر قدر ممكن من النقطة، على طبيعة فروع المعرفة الحديثة ومناهجها المكونة لها وقواعدها ومعضلاتها وأهدافها والآمال المرجوة فيها وما أنجزته وما عجزت عنه، كما يفترض فيها أن تهيء الأرضية الصالحة للمهمة التالية وهي المهمة التي يراد بها إيجاد الرابطة بين الفرع الدراسي وبين التراث الإسلامي" (الفاروقي، أسلمة المعرفة، 1982) لكي تسد هذا الفراغ وتزيل هذا التناقض أو تعيد صياغة الشكل وتوسع مجال الرؤية، ليتضح لنا عناصر التقصير وماذا يمكن لتراثنا الإسلامي أن يضيف في هذا الفرع أو ذاك .

أما الخطوة التالية فهي دراسة مفصلة عن علاقة الإسلام بهذا التخصص أو ذاك لكن علينا أن ننتبه إلى أن مساهمة التراث في هذا العلم أو ذاك ليست جاهزة للباحثين المحدثين ليصلوا إليها و يقرؤونها، وهنا على المتخصصين أن يستخلصوا من التراث مساهماته الرئيسية المتعلقة بمختلف الميادين التي يتناولونها بدراسة، تمهد الطريق لإعداد عدة مجلدات تضم مختارات من القراءات المنتقاة من التراث والمتصلة بكل من فروع الدراسة الحديثة، مرتبة طبقاً للتصنيفات الخاصة بكل فرع، هذه المختارات سوف تضع أمام العالم

المسلم الحديث طريقاً ممهدة إلى التراث في مجال تخصصه، وتضع أمامه أفضل ماساهم به التراث في مجموعة القضايا التي تشكل الموضوعات الرئيسية لدراسته التخصصية.

أما الخطوة الخامسة فتتمثل في نقد مساهمات التراث؛ وهنا ينبغي أن ننتبه إلى نقطة غاية في الأهمية وهي أن التراث الإسلامي وإن كان مستمداً من الوحي لكنه غير معصوم وهو قابل للنقد لأنه إنتاج إنساني بالنهاية، ولهذا فهذا "العنصر البشري في التراث هو الذي يحتاج إلى التنقيح.. وإن حكمة التراث، وأعني بها فهمنا نحن له، وما ينبغي على ذلك من ملامته لمختلف مشاكل عصرنا، يجب أن يخضع للنقد المنطلق من حاجة المسلمين في الوقت الحاضر ومن متطلبات المعرفة الحديثة التي يمثلها فرع التخصص... فإذا وجد أن التراث غير ملائم أو غير مصيب، فعلياً أن نصحه بجهونا الحاضرة.. أما إن كان ملائماً فلنعمل لمزيد من التطوير والبلورة الخلقة من أجل المستقبل" (الفاروقي، أسلمة المعرفة، 1982)، وهو الأمر الذي يتطلب منا دراسة نقدية للتراث تكشف عن عناصر القوة والضعف فيه.

أما الخطوة السادسة فيتم فيها تحديد أهم مشاكل الأمة: وهنا لابد أن نحدد مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وذلك بأن توجه التخصصات العلمية وما تحويه من حكمة لتحديث أثرها في حل مشاكل الأمة لأن دراستنا للتخصصات العلمية بمختلف فروعها لا يجب أن تكون مجرد ترف فكري خالص بحيث يكون العالم أو الباحث منعزلاً عن العالم في برج عاجي، بل لابد أن يتحسس مشاكل الأمة وواقعها ويعمل على حل مشاكلها معبراً عن آمالها وطموحاتها، وتقديم حلول مبدعة للخروج من هذه المشاكل وهي الخطوة السابعة التي علينا المرور بها لأن "مشاكل الأمة الإسلامية عديدة ولن تتمكن من حلها خبرة الغرب ولا خبرة المستعربين من المسلمين الذين لا يكادون يعرفون من الإسلام إلا اسمه.. إن الحاجة ماسة وملحة إلى تحريك العقول الملزمة بالإسلام من أهل التخصصات الحديثة في الأمة وتكليفها ببحث هذه المشكلات" (الفاروقي، أسلمة المعرفة، 1982).

أما الخطوة الثامنة فلا بد فيها من إعداد الكتب الدراسية للتخصصات المختلفة، وذلك لأن العقل المسلم إذا اجتهد فلا بد أن يصل إلى حلول وتصورات تختلف عما وصل إليه الفكر الغربي من حلول وتصورات، وهو ما يمكنه من أن يضع أمامنا خيارات جديدة مستلهمة من ديننا ذلك لأن أمتنا "لا يمكن أن يقال عنها أنها استرّدت فاعلية القرون الهجرية الأولى ونشاطها مالم يصبح الإسلام نفسه بالنسبة للمسلمين مثل النهر الذي يتدفق بالأفكار الجديدة التي تجسّد سنن الله في الكون، ونبع دائم للخيارات الخلقية المبدعة التي تتجسّد فيها القيم والأوامر الإلهية" (الفاروقي، أسلمة المعرفة 1982)، وهو عمل يكون نتيجة الجهود والخطوات السابقة الذكر، وذلك من خلال وضع مؤلفات دراسية تشكل ما يعرف أسلمة التخصصات.

أما الخطوة التاسعة والأخيرة فيتم فيها نشر هذا الإنتاج العلمي فلا خير في علم لا تنتفع به البشرية قاطبة وليس المسلمين فحسب؛ بل على الحلول الإسلامية أن تشيع ولا تحتكر، ذلك لأن "معنى كون العمل

لوجه الله تعالى يفرض على صاحبه أن يجعله متاحاً لكل من يرغب في أن يفيد منه وينقل ما فيه من علم بأي وسيلة كانت" (الفاروقي، أسلمة المعرفة 1982).

ومما سبق يمكن القول إن مشروع إسلامية المعرفة قد وضع خطة بمراحل محددة، تهدف من خلال منهج نقدي إلى بناء المعرفة من منظور توحيدي، ونقد التبعية العمياء سواء للموروث الفكري الغربي، أو الخضوع للموروث التقليدي بأفكاره الميتة، الأمر الذي يسمح بتأسيس فكر يجدد نفسه من الداخل، ويفتح في الوقت ذاته على الفكر الغربي وعلموه؛ لكن من خلال منهجية نقدية تخضعه للغلبة، فكر يشق طريقه من خلال حلول تتسجم مع رسالة الإنسان في هذا الكون ويحقق غايات الإسلام السامية، مع ربط هذا الفكر بواقع الأمة وتسخيره لحل مشاكلها؛ فكر يطغى عليه المنهج الإبيستيمولوجي من خلال تحليل الأزمة الفكرية التي تمر بها الأمة و تحديد معالم العلاقة بين قصور الفكر الإسلامي وقصور منهجيته من ناحية، وبين غياب الأمة ومؤسساتها ونظمها وتخلّفها علمياً وثقافياً وحضارياً من ناحية ثانية، مع اقتراح خارطة طريق تمر عبر الوقوف على أسباب ضعف الفكر الإسلامي المعاصر وسبل مواجهتها؛ مع التأكيد على ضرورة العمل على تجديد فكر الأمة وتجديد طاقاتها وتطوير مناهجها، وكذا العمل على الانفتاح على العلوم المعاصرة وفي نفس الوقت أسلمة الدراسات الاجتماعية والإنسانية وربطها بقيمها الدينية الأمر الذي سيمكّن الفكر الإسلامي من استيعاب التراث الإسلامي والعلوم الحديثة معاً؛ وتقديم الأبحاث والدراسات والكتب المنهجية ونشرها وجعلها متاحة للجميع، وكذا العمل على إعداد الكوادر العلمية اللازمة لريادة مجالات إسلامية المعرفة.

5- تطبيقات إسلامية المعرفة:

يمكن القول إن مشروع إسلامية المعرفة قد أصبح ورشة مفتوحة يعاد فيها صياغة وتصويب وتوجيه العلوم من جديد بهدف ربطها بالقيم الإسلامية، ومن بين هذه التطبيقات ما نجده في مشروع أسلمة الفنون، أسلمة علم الاجتماع، أسلمة علم النفس، أسلمة علم الاقتصاد وغيرها من العلوم الأخرى.

5-1 أسلمة علم الاجتماع :

يعاني علم الاجتماع من إشكاليات جمة سواء في الفكر الغربي أو الفكر العربي، فإذا كان علم الاجتماع يعاني في الفكر الغربي من تعدد المذاهب والتوجهات وصراعا فيما بينها واختلاف تفسيراتها ومقولاتها وأهدافها وحلولها؛ فإن علم الاجتماع في العالم الإسلامي يعاني من إشكالية عدم الفاعلية والانفصام القائم بين منطلقات هذا العلم وما يؤمن به الفرد وواقعه، لكون الكثير من النظريات الاجتماعية تتطوي على خلفيات ايديولوجية وقيمية نشأت ونمت في المجتمع الغربي وجاءت تفسيراً لظواهره، ولهذا كانت عاجزة على دراسة الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للعالم العربي والإسلامي بصفة عامة،

بسبب طبيعة المناهج والأدوات والعدة المفاهيمية التي تستخدم في ذلك، ومن هنا جاء مشروع أسلمة علم الاجتماع ليدعو إلى المراجعة النقدية لمبادئ هذا العلم، وضرورة البحث لها عن بدائل نابعة من التراث الإسلامي في محاولة لإعادة بناء علم الاجتماع في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك بتوليد نموذج معرفي نابع من الرؤية الإسلامية للعالم، تلك الرؤية التي يكون الوحي الرباني مصدراً لها، مثلما أشار إلى هذا الدكتور عبد الحليم مهوور باشا في كتابه "علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس، نحو علم العمران الإسلامي".

5-2- أسلمة علم النفس:

يعاني علم النفس كغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى من مشكلة الفصل بين المادي والروحي، فعلم النفس قد ولد "من رحم وضعي وعاش في أحضان وكنف أسرة أوروبية وأمريكية كفر أجدادها باللاهوت والكنيسة التي دفعته إلى كهوف وظلمات القرون الوسطى وربوا أبناءهم على الفصل بين الله وقيصر أو بين الدين والدولة" (العاني، 2008، ص14).

ومن أجل حصول هذه الغاية عمد علماء النفس إلى الاختصار على الجانب المادي المحسوس الذي يمكن ملاحظته والتجريب عليه، مستعينين في ذلك بتوظيف مناهج العلوم الطبيعية، ومن ثمة كان لابد "لهذه التثنية الأسرية للوليد الجديد (علم النفس) أن يكفر بالروح ومن ثم بالعقل لينظر لنفسه على أنه آلة أو حيوان في أحسن تقدير تعبث به قوانين المنعكس الشرطي وسلوكات المثير والاستجابة، ليس له إلا الحس والمشاهدة وكل همه حاجاته وغرائزه ومتى أشبعها قد حقق ذاته" (العاني، 2008، ص14).

ومن ثمة فلا يمكن لعلم بهذه المبادئ والقيم أن يكون بلسماً يداوي الإنسان المسلم أو يفهم مشاكله، وهنا طرح مشروع إسلامية المعرفة ضرورة إعادة النظر سواء في موروثنا الثقافي النفسي، أو في علم النفس في صورته الغربية والقيام بعملية الغربة للتمييز بين الغث والسمين، وبين الخبيث والطيب في معطيات ومناهج ونتائج هذا العلم، وهو ما يجب على المتخصصين (الذين يجمعون بين معطيات هذا العلم ولم يقفوا في أسرهِ، ولم يفتنهم بسحره، المتمسكون بتعاليم الإسلام وقيمه وتعاليمه) القيام به.

5-3- أسلمة الفن:

دافع أنصار ومؤيدو إسلامية المعرفة على وجود فن إسلامي قائم ومتميز عن الفن الغربي من حيث الفلسفة التي يقوم عليها، ومن حيث المبادئ والأسس والخصائص التي يتميز بها، وهذه المنطلقات هي المبادئ التي تشكل ما يعرف بعلم الجمال الإسلامي باعتبار أن علم الجمال تعبير عن الفن الذي أبدعه المسلم، والذي عبّر عن نبض الحياة بالنسبة له في جميع جوانبها، وهي الأطروحة التي دافع عنها إسماعيل راجي الفاروقي و عبد الفتاح رواس قلعة جي و فتحي حسن ملكاوي و رائد جميل عكاشة وغيرهم، ذلك لأن "التطور الكبير الذي أحدثه الإسلام في حياة الناس وأفكارهم، والمعجزة القرآنية الرائعة لم تضع البشرية أمام

موضوع كبير وتصور جديد وطرائق موضوعية في التفكير فحسب، وإنما وضعتهم أيضا أمام وعي جمالي جديد يجد تجلياته في الفكر واللغة والسلوك والفن والعمارة " (الفتاح، 1991، ص23) وهو فن إسلامي بدأ يتّضح منذ القرن الأول للهجرة.

وعليه فالفن الإسلامي " ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام...إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود" (قطب، 1983، ص06)، وعبر عنه محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي قائلا "إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود" (قطب، 1983، ص177)، ولهذا فهو فن يربط بين الخير والجمال، أي بين الأخلاق والجمال، وعرفه إسماعيل راجي الفاروقي بأنه "عملية استكشاف داخل الطبيعة لذلك الجوهر الماورائي، وتمثله في شكل منظور، فهو ليس محاكاة للطبيعة المخلوقة، ولا هو تصوير حسي كامل لأشياء حقيقية طبيعية" (الفاروقي، التوحيد، مضامينه على الفكر والحياة، 2014، ص306)، بل هو استقراء لها عن جوهرها الماورائي وهو ما يشغل عليه الكثير من الباحثين والعلماء في هذا المجال.

6- انتقادات مشروع إسلامية المعرفة.

على الرغم من وضوح مشروع إسلامية المعرفة والخطوات النظرية والعملية التي اقترحها، إلا أن هذا المشروع بقي غامضا بالنسبة للكثير من المتسرعين من النقاد، الذين رموه بأبشع الانتقادات دون تحري وسعة اطلاع في كثير من الأحيان، تستفزهم في ذلك صفة الإسلام التي أضيفت إلى المعرفة، وأقصد هنا تحديدا المفكرين العرب المتأثرين بالفكر الغربي والمدافعين عنه، مرددين شعار -الفكر الغربي- العلم لا دين له، وهو يطلب ما هو عام وليس ما هو خاص، مع علمهم أكثر من غيرهم أن قيم الإسلام ليست عامة فحسب بل عالمية أيضا، ولهذا فقد اعتبر البعض هذا المشروع مجرد إضفاء لمسة كهنوتية على العلوم، واعتبره آخرون عودة إلى الموروث والتمسك به، ورأى البعض الآخر فيه محاولة للجمع بين التراث والحداثة الغربية بلا تجديد، وتساءل البعض الآخر عن جدوى هذا المشروع وأنه مجرد استنزاف الجهد والأموال، وتساءل البعض الآخر: هل هذه العملية هي أسلمة للمعرفة أم تغريب للإسلام؟ ثم إن المنهج النقدي المعتمد هل سيستفيد من إبستمولوجية العلم الغربي في نقده للفكر الغربي، أم يوظف مناهج جديدة، ثم كيف يمكن للمعارف العلمية الغربية أن تكون أساسا لإنتاج معرفة إسلامية خاصة وأنها نشأت في ظلّ مجتمع غربي له ظروفه وبيئته وقيمه وحضارته الخاصة.

ورغم كثرة النقد والمنقذين وتعدد مشاربهم وتوجهاتهم وزوايا نظريهم للطرح الذي تقدم به أصحاب مشروع أسلمة المعرفة، إلا أننا سنركز على ثلاثة انتقادات أساسية: الأول أشار إليه زكي نجيب محمود في كتابه تحديث الثقافة العربية، وتحديدا مقال " لك الله يا علوم الإنسان"، أما الانتقاد الثاني فسنركز فيه على

ما جاء به صلاح قنصوة في مقال له بعنوان " العلم والدين وأسلمة المعرفة"، والانتقاد الثالث أشار إليه سعيد توفيق في مؤلفه تهافت مفهوم علم الجمال الإسلامي.

6. 1 - موقف زكي نجيب محمود (1905-1993):

افتتح زكي نجيب محمود مقاله منذ البداية بحديث له عن إسلامية المعرفة بنبرة عجب واستغراب عما آلت إليه الأمة العربية حين تحركت فكريا فجاءتنا بأعجب نعت من نعوتها مطالبة بأسلمة العلوم الاجتماعية و الإنسانية وأن تكون لنا علوم تحمل خصائص الثقافة العربية الإسلامية وخصوصيتها" فقال أصحابها عن مجموعة العلوم التي موضوعها "الإنسان" إننا نريدها علوما إسلامية قوامها مادة إسلامية ومنهج البحث فيها هو منهج السلف من المسلمين" (محمود، 2022، ص127).

وإذا عرفنا أن زكي نجيب محمود من المدافعين عن الوضعية المنطقية والداعين إليها في كثير من مؤلفاته فلا نستغرب منه هذا الموقف الحاد، فالمعرفة العلمية تقتضي بالنسبة له استقلالها عن الميتافيزيقا، ولهذا فموقفه مبني بالأساس على أن الميتافيزيقا عائق أمام التفكير العلمي ولذا سنجد مواقفه مبطنّة بالدعوة إلى الأخذ بالاتجاه العلمي الوضعي كشرط لازم لمسيرة العصر ولعل كتابه "خرافة الميتافيزيقا" خير دليل على ذلك فالرجل لا يخفي توجهه الوضعي المنطقي والدعوة إليه باعتباره أقرب المذاهب الفكرية مسaire للروح العلمية على حد تعبيره وفي هذا يقول" فقد أخذت به أخذ الواثق بصدق دعواه وطفقت أنظر بمنظاره إلى شتى الدراسات فأحمو منها-لنفسى- ما تقتضي مبادئ المذهب أن أمحوه" (محمود، المنطق الوضعي 1951، ص و).

ولهذا فقد انطلق زكي نجيب محمود من توضيح الأسس التي قامت عليها هذه الدعوة مبيناً أن الدعوة إلى أسلمة العلوم الإنسانية قامت على أساسين:

الأول: ألا تكون مراجعنا في البحث العلمي ما كتبه علماء الغرب، وإنما هي مراجعنا نحن، فيجب أن نرجع إلى ما كتبه أعلامنا.

الثاني: أن تنصب أبحاثنا العلمية في مجال العلوم الإنسانية على واقع حياتنا نحن حتى لا نؤخذ علومنا من واقع الحياة عند آخرين، على أن السادة أصحاب الدعوة يُصنيفون الشريعة الإسلامية وفقّها فيما يُسمّى بالعلوم الإنسانية (محمود، في تحديث الثقافة العربية 2022، ص 131-132).

بعد ذلك يفتد هاتين المسألتين مبيناً أن الدعوة إلى أسلمة العلوم لا جدة فيها، ذلك لأنه لا يوجد هنالك ما يُوجب أن يُصنفوها إلى مطالبهم وأهدافهم؛ بحجة هي أقرب للمصادرة على المطلوب منها إلى النقد، مبيناً أن ذكر الدعوة إلى الأسلمة يوهّم القارئ بمزيد من قوة الدعوة، ومزيد من ضعف خصومها، دون أن يكون هنالك من حجة حقيقية على تلك القوة، أو على هذا الضعف؛ ما قد يصرف العقل العادي عن رؤية صحيحة لطبيعة الحوار" (محمود، في تحديث الثقافة العربية 2022، ص132).

أما بالنسبة إلى فكرة أن تقوم الأبحاث العلمية في العلوم الإنسانية على واقع الحياة في الأمة العربية الإسلامية؛ فرد عليهم بأن هذا الأمر مفروض مقدّمًا، وليس له بديل آخر نخشاه، فهل يمكن لباحث مثلاً - (في ميدان علم النفس) - لا يجعل الأفراد الذين يُدير حولهم بحثه أفرادًا من هذا المجتمع؟ هل يمكن أن يسافر إلى النرويج أو إلى اليابان ليُجري بحثه هناك على مُراهقين ومراهقات من هذا الشعب أو ذاك (محمود، في تحديث الثقافة العربية، 2022، ص132).

أما بالنسبة إلى الدعوة للعودة إلى مصادر السلف بدل أن نستتد قوانا في قراءة علماء الغرب مخافة أن يصيبنا بالانحراف جراء الغزو العقلي والنفسي، فيجعله دليلاً على تخلفنا العلمي الذي من بين أماراته " أن تدور الحركة العلمية والتعليمية كلها حول كتب السلف حفظاً و شرحاً وتلخيصاً " (محمود، في تحديث الثقافة العربية 2022، ص134)، وهو ما يكشف لنا السطحية التي تميزت بها مواقف زكي نجيب محمود وعدم اطلاعه على مبادئ وأهداف هذا المشروع، ذلك لأنّ جَل ما يريده المدافعون عن إسلامية المعرفة هو استلهاً التراث، وتفكيكه وغربلته والاستفادة من عناصره الفاعلة، مع الانفتاح على علوم العصر؛ لكن مع تنقيتها من الإحالات الفلسفية الوضعية و ربطها بالقيم الإسلامية.

6. 2 موقف صلاح قنصوة (1936-2019):

لم يكن موقف صلاح قنصوة بعيداً عن موقف زكي نجيب محمود فكلاهما قد تشرب من الفكر الغربي وعلومه ومناهجه ودافع عنه دفاعاً مستميتاً، ولهذا فقد وجّه انتقاداً لاذعاً لمشروع أسلمة العلوم في مقال له تحت عنوان " العلم والدين وأسلمة العلوم " رافضاً رفضاً كلياً فكرة تأسيس علوم اجتماعية إسلامية، داعياً بدل ذلك إلى تأسيس فلسفة علوم إسلامية أو علم الكلام؛ لأن هذه الأخيرة ستكون أكثر معقولة من الحديث عن أسلمة العلوم الاجتماعية، وذلك بحجة أن العلم يقتضي الموضوعية، والعمومية، وبالتالي فلا وجود لعلوم إسلامية وعلوم أخرى غير إسلامية، حيث يقول: " الفلسفة وعلم الكلام مثل الدين لا يتطلبان الموضوعية، وليس في مقدورنا كمسلمين أن ندعو غيرنا ونثبت لهم بالأدلة العقلية القاطعة والتجارب العلمية كما يصنع العلم إن الله اختار محمداً رسولاً وأنه أسرى به أو أن جبريل أقرأه القرآن، فكلها مسائل تخص الإيمان والتصديق " (قنصوة، 1992، ص30).

وما دام من شرط العلم الموضوعية فإن هذا يستوجب حسب صلاح قنصوة أنه لو كانت هناك فرضاً علوماً إسلامية فإن هذا يفرض علينا التساؤل كيف يمكن أن أتداول هذا العلم مع غير المسلمين؟، أم أنه مقصور علينا، ولكل علمه كما لكل دينه؟ وممن أقبل ذلك العلم الإسلامي المزعوم؟ وما هي السلطة العلمية التي أحتكم إليها للاختيار من بين تلك العلوم التي ينتجها أصحابها باسم الدين؟ أم أن لكل فرد الحق في إنتاج علمه الإسلامي الخاص ويطرحه في سوق حرة لتداول التعميمات الفردية التي لا تخضع لسلطة

المنهج الموضوعي، ومن ثم لكل منا أن يصدر أحكامه ونظرياته، وليس لغيره أن يطالبه بتأييدها علميا وإلا رشقه بسهام التكفير أو اتهمه بسوء التأويل؟، نحن إذن بإزاء خيارين لا ثالث لهما فإما نسعى إلى تأسيس علوم اجتماعية موضوعية أو ننكر قيام العلوم الاجتماعية لاستحالة بلوغها للموضوعية (قنصوة، 1992، ص31).

ليخلص في الأخير إلى القول بأن أصحاب دعوة أسلمة العلوم الاجتماعية ينتمون إلى تيار عريض تورقه التبعية الاقتصادية والسياسية للغرب، فنراهم يوغلون في رفض نظرياته وأدواته العلمية وقد تملكهم شعور بالاستعلاء الزائف (قنصوة، 1992، ص31) .

6. 3- موقف سعيد توفيق (1954):

ومن بين الباحثين الذي اشتهروا بتوجيه سهام نقدهم لمشروع إسلامية المعرفة ما ذهب إليه الدكتور سعيد توفيق في مؤلفه "تهافت مفهوم علم الجمال الإسلامي" وكتاب " تأويل الفن والدين" حيث رأى في مشروع أسلمة الفن نوعا من ربط الفن بإيديولوجية معينة هي بالأساس تعارض وتعادي الفن، وهو ما يمثل توجه بعض الباحثين العرب والمسلمين الذين اعتمدوا على النظرة الغربية التي ترى أن الإسلام يجافي الفن وقد يعاديه أو ليس لديه في الحد الأدنى مشروع فني يمكن أن نسميه "الفن الإسلامي" ولم يؤسس لأي علم يمكن تسميته بعلم الجمال الإسلامي، وهو في أقصى تقدير تطوير لبعض النماذج الفنية السابقة؛ ذلك لأن الفن يقوم على مبدأ الحرية، بحيث لا يرتبط بالواقع ولا تقيد قيود ولا يخضع لمنطق، وبالتالي فإن ربط الفن بالدين من شأنه تقليص مساحة حريته بفرض قيم معينة عليه لقبوله، ولهذا فإن صهر الفن في بوتقة العقيدة الإسلامية والتعاليم الشرعية التي تنظم علاقة الفن بالدين تقيد الفن لأنها تجعل كل فعل إبداعي في مجالات الفن والعلوم في خدمة الدين والفضيلة، وبالتالي لا مجال للحديث عن الفن كمتعة جمالية فحسب، أو الفن من أجل الفن، لأن ضوابط الدين بصورة عامة تحد من حرية الفنان ويؤول به في النهاية إلى طغيان القيمة الأخلاقية والدينية على القيمة الفنية، ذلك لأن الحرية هي منبع الإبداع في الفن وأساس أصالته وجودته، وهي التي تمكّنه من أن يضيف إلى العالم شيئا جديدا غير الأشياء المادية، كما تمكّن الفنان من إطلاق العنان لطاقاته، ولهذا فهذا التوجه الذي يهدف إلى أسلمة الفنون يعكس اغترابا للوعي الديني الذي عمل على توجيه الفن بفرض قيود صارمة عليه لقبوله ورفض ما عاداه، بل ولا يمكن تدين أو أسلمة أي علم من العلوم الأخرى، لأن العلم متغير ويقبل دائما النقد والتكذيب، في حين أن الدين مقدس وثابت، ولهذا فمشروع أسلمة العلوم لا يهدف سوى إلى المتاجرة بالدين.

وهو ما ذهب إليه سعيد توفيق في كتابيه " تأويل الفن والدين" و " تهافت مفهوم علم الجمال الإسلامي" حيث أنكر فيه وجود إمكانية قيام علم الجمال الإسلامي، وقد أشار في كتابه "تأويل الفن والدين" إلى أن التعارض والصراع بين الجميل والمقدس أو الفن والدين تاريخيا أخذ شكلين أساسيين: شكل انفصال

الفن عن الدين أو ما يعرف بعلمنة الفن، وشكل فرض قيود دينية عليه أو ما يعرف بتدوين الفن، ويعد مشروع أسلمة الفنون شكل من أشكاله، يقول سعيد توفيق : في تصديره لكتاب تهافت مفهوم الجمال الإسلامي: "ابتلت الثقافة العربية الإسلامية في الآونة الأخيرة بطائفة من الكتاب يحرفون الكلام عن مواضعه، ويخلطون المفاهيم خطأ ويبتدعون المصطلحات ابتداءً، بل وينشئون علوماً جديدة باسم الإسلام، يسمونها باسمه وينسبونها إليه، وليس فيها شيء من العلم ولا من الإسلام، ومن بين العلوم التي نالها ما نالها من الخلط والتزييف علم الجمال، ففي عصرنا هذا تعالت صيحات تنادي بفرض وصاية أو صبغة إسلامية على هذا العلم دون أدنى وعي بموضوع بحثه وحدوده، أو بدلالة مصطلحاته ومفاهيمه" (توفيق، دت، ص 11).

وهو ما يبيّن أن مشروع أسلمة العلوم كما لاقى الكثير من الترحيب والرضى من قبل العديد من الباحثين، لاقى أيضاً معارضة شديدة رأت في هذا المشروع نوعاً من ربط الفن بإيديولوجية معينة، وبالتالي هو مجرد هدر للوقت والمال والجهد .

الخاتمة:

إذا كان مشروع إسلامية المعرفة قد قدم نفسه على أنه الحل والعلاج الناجع الذي بإمكانه أن يعيد للأمة عافيتها ويعيد لها الحياة من جديد فتتطلق لتؤدي دورها الحضاري المنتظر، فإن هذه الدعوى قد قوبلت بكثير من النقد والتجريح وبحملات شرسة بهدف وأد هذه الفكرة في مهدها، لكنها مع ذلك استطاعت أن تستمر وتتوسع وتجد لها المزيد من المؤيدين، وقد بلغت من النضج مرتبة عالية بحيث طرح لأول مرة خارطة طريق لتجديد الفكر الديني وعصرنته بما يمكنه من أن يكون صيدلية فعالة لعلاج أمراض المجتمع، وفكر قادر على تصور الحلول لمشاكله ومعالجتها وليس متعالياً عليها، فكر يساير التطور العلمي ولا يكون متأخراً ومتخلفاً عنه، ودون أن يضحي بمرجعياته الدينية التي تحمل حلولاً للعالم كافة.

ولولا ما يلقاه هذا المشروع من عوائق وموانع وكيد ومكائد لحقق هذا المشروع الكثير من أهدافه، ولا أقصد هنا النقد البناء أو الأصوات المعارضة التي يمكن في الغالب الأعم الاستفادة من ملاحظاتها لتطوير المشروع، فهو أولاً وأخيراً جهد إنساني، وإنما أقصد من يخطط وينفذ لهدم أي اجتهاد إسلامي وأية فكرة خلاقة يمكن أن تعود على المجتمع الإسلامي بالفائدة.

وللأمانة نقول إن مشروع إسلامية المعرفة رغم أنه حقق الكثير من النتائج فإن ما ينتظره أكثر؛ ولهذا لا يمكن الحكم النهائي عليه بالفشل أو النجاح لأنه مشروع مفتوح يجدد نفسه باستمرار، لكن مع هذا يمكن اعتباره مشروعاً بديلاً للمشاريع النهضوية السابقة باعتباره مشروع حاول تجاوز العثرات والعوائق التي لاقتها المشاريع النهضوية السابقة.

قائمة المصادر والمصادر:

1. أحمد عروة، العلم والدين مناهج ومفاهيم، ط1، (سورية: دار الفكر، 1987)
2. إسماعيل راجي الفاروقي، أسلمة المعرفة، المبادئ العامة، وخطة العمل، الانجازات، (فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1989).
3. إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد، مضامينه على الفكر والحياة، ط3، (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2014)
4. إسماعيل راجي الفاروقي، "أسلمة المعرفة"، مجلة الفكر المعاصر
/ <https://almuslimalmuaser.org/1982/10/01>
5. أنور الجندي، أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة، دط، (القاهرة: دار العلوم للطباعة، 1986)
6. دعاء فينو، "قراءة في كتاب: إسلامية المعرفة وإصلاح الفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، العدد 48، 2007.
7. واس قلعة جي عبد الفتاح، مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، ط1، (بيروت: دار قتيبة للطباعة والنشر، 1991).
8. زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، دط، (القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، 1951).
9. زكي نجيب محمود، في تحديث الثقافة العربية، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي، 2022).
10. سعيد توفيق، تهافت مفهوم علم الجمال الإسلامي، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، دت).
11. صلاح قنصوة، "العلم والدين و أسلمة العلوم"، مجلة إبداع، الهيئة المصرية العامة للكتاب: العدد 08، 1992.
12. طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين، ط1، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006).
13. طه جابر العلواني، 1985، "نحو منهجية عمل للتواصل إلى جعل المعرفة تقدم في إطار إسلامي"، ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر، 1985، الجزائر.
14. عبد العزيز بو الشعير، النظام المعرفي في الفكرين العربي والغربي، ط1، (بيروت: منتدى المعارف، 2014).
15. عماد الدين خليل، 2006، مدخل إلى إسلامية المعرفة، (بيروت: دار ابن كثير، 2006).
16. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط2، (سورية: دار الفكر المعاصر، 2006).

17. محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، ط1، (بيروت: دار الهادي للنشر والتوزيع، 2003).
18. محمد علي أبو ريان، 1997، أسلمة المعرفة، العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، دط، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 1997).
19. محمد عمارة، إسلامية المعرفة ماذا تعني؟، (مصر: نهضة مصر، 2007).
20. محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط6، (القاهرة: دار الشروق، 1983).
21. نزار العاني، الإسلام وعلم النفس، ج1، ط1، (فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008).